



في رحاب التوراة

دراسات وجِواراتٌ روحانيةٌ مُعمّقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University



The Original text in English and translations to other languages can be found here:
[Covenant & Conversation](#) | [Yitro](#) | [To Thank Before We Think](#) | [The Rabbi Sacks Legacy](#)

"**يترو**" هو النصّ الأسبوعي الخامس من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الثامن عشر وينتهي بالآية الثالثة والعشرين من المقطع العشرين

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

أن نشكر قبل أن نفكر

تعتبر الوصايا العشرة أشهر منظومة أخلاقية عبر التاريخ، وحتى وقت قريب كانت هذه الوصايا تُزيّن أروقة المحاكم ومجالس القضاء الأمريكية كما تُزيّن توابيت التوراة الكُتُس اليهودية. وقد وضعها الرسّام الهولندي الكبير رامبرانت على لوحة فنية كلاسيكية تُحاكي صورة نبيّ الله ورسوله موشيه/موسى وهو على وشك أن يكسر الألواح التي حفرت عليها الوصايا بعد أن رأى قومه يعبدون العجل الذهبي. وكذلك الحال بالنسبة للفنان الإنجليزي جون روجرز هيربرت صاحب اللوحة الفنية الضخمة التي تُحاكي نزول موشيه من سفح الجبل، هذه اللوحة الفنية التي تُزيّن هي الأخرى جدران القاعة الرئيسية لمجلس اللوردات في المملكة المتحدة. إنّ هذين اللوحين الذين حُفرت عليهما الوصايا العشرة يُمثّلان رمزاً للقانون الأبدي تحت سيادة الله عز وجلّ وفي ظلّ عرشه.

ويجدُر بنا أن نتذكّر أيضاً بأن "الوصايا العشر" هي في الحقيقة ليست عشر وصايا، فالتوراة وصفتها بمصطلح "عسيريت هادفاريم" (بمعنى الكلمات العشر) بحسب ما تذكره الآية الثامنة والعشرون من المقطع الرابع والثلاثين من سفر الخروج. ثم جاءت التفسيرات والشروح الدينية اللاحقة لتُطلق عليها لفظ "عسيريت هاديروت" (بمعنى الألفاظ العشر). وبإمكاننا فهم هذه التوصيفات بشكل أفضل على ضوء الاكتشافات والوثائق التي عُثِرَ عليها في القرن العشرين، خاصة صُكوك الحُكم الحيتية المعروفة "بصكوك الولاية" والتي تعود إلى الفترة 1200-1400 ق.م، أي الفترة الزمنية ذاتها التي عاش فيها موشيه أثناء الخروج.

لقد كانت هذه الصكوك تتكوّن عادةً من شقين يوضّحان طبيعة القوانين المعمول بها، بحيث يضمّ الشقّ الأول مُلخصاً للخطوط العريضة لتلك القوانين، في حين يتمّ توضيحها بالتفصيل في الشقّ الثاني، وهذا بالضبط هو شكل العلاقة بين

"الكلمات العشر" والوصايا المفصلة في النص التوراتي الأسبوعي الذي يحمل عنوان "مشباتيم" (بحسب ما ورد في سفر الخروج في المقطعين 22 و23). وكلمة مشباتيم هي كلمة عبرية تعني "الأحكام"، والكلمات العشر هي بمثابة الملخص الذي يوضّح الخطوط العريضة والمبادئ الأساسية للأحكام والقوانين.

وعادة ما يتم تصوير الوصايا على أنها موضوعة في لوحين اثنين شكلاً ومضموناً، بحيث يحتوي كل لوح على مجموعة مكونة من خمس وصايا، فتتناول المجموعة الأولى من الوصايا مسألة العلاقة مع الله عزّ وجلّ، بما يشمل احترام وتكريم الوالدين باعتبارهما يُشبهان الله عزّ وجلّ كونهما السبب وراء وجودنا في هذا العالم. أما المجموعة الثانية من الوصايا فهي تتناول مسألة العلاقة بيننا وبين بقية البشر.

لكن يوجد أساس منطقي آخر يتم تقسيمها على أساسه إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى مكونة من ثلاث وصايا وتختص بمبدأ وحدانية الله عزّ وجلّ وكونه المُشرّع ومصدر التشريع لهذه القوانين، وهذه الوصايا هي: الله واحد، ولا إله سوى الله عزّ وجلّ، ولا تحلف زوراً باسم الله. أما المجموعة الثانية من الوصايا فهي تتعلق بالخلق والتكوين، وهذه الوصايا هي: الحفاظ على تعاليم وقوانين الشّبات (يوم السبت اليهودي المقدس)، ويزّ الوالدين، وتحريم القتل. فيوم الشّبات هو بمثابة تذكير لنا بالوقت الذي خُلِق فيه هذا الكون، ووالدانا هما اللذان أنجبانا لنكون خلقاً في هذا الكون، والقتل مُحَرَّم لأننا بشرٌ مخلوقون بصورة الله عزّ وجلّ (تبعاً لما تذكره الآية السادسة من المقطع التاسع من سفر التكوين). أما المجموعة الثالثة من الوصايا فتتعلق بالمنظومات الأساسية لوجود أي مجتمع: قُدسية الزواج، ونزاهة الملكية الخاصة، ومنظومة العدالة، وهذه الوصايا الثلاث هي: لا تزن، لا تسرق، لا تشهد زوراً. وحين لا نرى أيّاً من هذه المنظومات الثلاثة موجودة في المجتمع سنجد الحرية تختفي منه شيئاً فشيئاً.

إن الأساس الذي بُني عليه هذا التصنيف يُركّز على غرابة الوصية العاشرة: "لا تتمنّ منزل صاحيك، لا تتمنّ زوجته، وعبده وامته وثوره وجماره، وجميع ما له" بحسب ما تخبرنا الآية الرابعة عشرة من المقطع العشرين من سفر الخروج. وهذه الوصية تبدو في ظاهرها مختلفة عن باقي الوصايا التي تتضمن النهي عن القيام بأفعال أو أقوال مُحددة¹، فالحسد والجشع والرغبة في امتلاك ما يمتلكه الآخرون هي مجرد مشاعر وليست أفكاراً أو أقوالاً أو أفعالاً، وبالطبع لا يمكننا السيطرة على مشاعرنا وعواطفنا في كثير من الأحيان، وقديماً كان توصف العواطف بأنها "شّهوات" أو "رغبات"، تحديداً لأننا سلبيون في طبيعة علاقتنا بعواطفنا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يُمكن أن تكون مشاعر الغيرة والحسد محظورة تماماً على البشر؟ لأنه من غير المنطقي أن يُحظر علينا القيام بأمر خارج عن حدود سيطرتنا. في المقابل هنالك سؤال آخر يتعلق بهذه المسألة: لماذا تحتلّ مشاعر الغيرة تلك الأهمية على الرغم من أنها مجرد مشاعر لحظية تتناوبنا من وقت لآخر ولا تؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين؟ هنا، وفي هذا الموضوع بالتحديد، يبدو لي وكأنّ التوراة تُرسي مجموعة من الأسس والقواعد والحقائق التي ننساها دائماً رغم إدراكنا لمدى خطورة نسيانها.

والحقيقة الأولى التي تُرسيها التوراة تتمثل في أن إيماننا بأمر مُعيّن يؤثّر جداً على مشاعرنا، هذه الحقيقة التي تُدكرنا بها أيضاً مبادئ العلاج النفسي السلوكي المعرفي، لأن ما نؤمن به يؤثر على ما نشعر به. فعلى سبيل المثال لا الحصر، الأشخاص النرجسيون يشعرون فوراً بالإهانة عندما يظنون بأن شخصاً ما يتكلّم عنهم بطريقة سيئة أو عندما يظنون بأن شخصاً ما يُقلّل من احترامهم ويسيء الأدب معهم، في حين أن الواقع يقول بأنه لا يوجد من يُعيرهم أيّ اهتمام أصلاً، بالتالي فإن اعتقادهم الخاطيء بأن أحداً ما يُسيء إليهم وُلد لديهم شعوراً بالسخط والغضب.

أما الحقيقة الثانية فتتمثل في أن مشاعر الغيرة والحسد هي الدافع الرئيسي للعنف في أي مجتمع، ففي مسرحية عطيل للكاتب الكبير شكسبير كانت الغيرة هي السبب الذي جعل ياجو يُضلل عطيل ويدفع ثمناً باهظاً. ولماذا نذهب بعيداً، فالغيرة هي السبب الذي دفع قايين/قابيل لقتل أخيه هـل/هابيل، وهي السبب الذي جعل أقرهايم/إبراهيم ومن بعده يتسحق/إسحق يشعرون بوجود خطر يُهدّد حياتهما عندما أجبرتهما المجاعة على الزواج المؤقت من أرضهما، فعندما ذهبا إلى أرض مصر كانا يعتقدان بأن زواجهما من امرأتين فائقتي الجمال سيُدبّ مشاعر الغيرة في قلوب حكام مصر، بالتالي سيقومون بقتلهما حتى يستحوذوا على زوجتيهما. والحال ذاته في قصة يوسف، فمع الأسف الشديد كانت مشاعر الغيرة

والحسد الموجودة في قلوب إخوته هي الدافع الذي جعلهم يكرهونه ويحقدون عليه، فكانوا يغارون من المعاملة الحسنة التي يعاملها بها أبوهم يعقوف، وكانوا يغارون من الثوب المُطرز الذي أعدّه خصيصاً ليوسف، هذا عدا عن غيرتهم الشديدة من أحلامه التي كان يرى فيها بأنه سيحكمهم في يومٍ من الأيام، الأمر الذي أدى بنهاية المطاف إلى قيامهم بالتخطيط لقتله والتآمر عليه ومن ثم بيعه.

وفي السياق ذاته يوضح المؤرخ الفرنسي الكبير رينيه جيرارد عبر كتابه "العنف والمقدس" (Violence and the Sacred)³ بأن الدافع الأساسي الذي يولد العنف هو شهوة التقليد، بمعنى الرغبة في امتلاك ما يمتلكه شخص آخر، والذي يعني الرغبة في أن يصبح هذا الشخص تماماً كالشخص الذي يُقلده. بالتالي فإن الغيرة والحسد هي مشاعر من شأنها أن تقود إلى التصرفات والسلوكيات التي نهت عنها باقي الوصايا: فهي تقود الناس لعبادة الأوثان والسرقة وشهادة الزور، بل وقد يصل الأمر إلى حدّ القتل أيضاً.

واليهود على وجه الخصوص لديهم سبب عميق للخوف من غيرة الآخرين منهم، فالغيرة لعبت دوراً بارزاً في خلق ظاهرة مُعاداة السامية عبر مَرّ القرون، لأن غير اليهود كانت تملكهم مشاعر الغيرة والحسد من قُدرّة اليهود على النمو والازدهار رغم ما يجلّ بهم من مصائب، وهي الظاهرة الغريبة التي لفتت التوراة انتباهنا إليها في النص الأسبوعي الذي يحمل عنوان "شموت" في الآية التي تقول: "وكانَ كَلِّماً عَدْبُوهُمْ، كانوا يَكْتُرُونَ". ومما لا شكّ فيه بأن شعور اليهود بأنهم شعبُ الله المُختار كان سبباً آخر لتأجيج مشاعر الغيرة والحسد في صدور غير اليهود، على الرغم من أن كل شعب عبر التاريخ - من ناحية نظرية - كان ينظر لنفسه على أنه شعبٌ مُختار. بالتالي كان من الضروري جداً بالنسبة لنا نحن اليهود أن نحافظ على قدرٍ كبيرٍ جداً من التواضع بل والخضوع حتى لا تُستفز مشاعر الغيرة والحسد في صدور الآخرين.

إن تحريم الغيرة والحسد لم يأت من فراغ، لأن الغيرة هي الدافع الأساسي في زعزعة وتخريب حالة الألفة والانسجام الاجتماعي بين البشر، هذا الانسجام الذي يُعتبر المقصد الرئيسي الذي تصبو إليه التوراة من خلال وصاياها العشر، فهذه الوصايا لا تقتصر على تحريم الغيرة والحسد فحسب، بل إنها تُساعدنا على الارتقاء بمشاعرنا وعواطفنا أيضاً، خاصة الوصايا الثلاث الأولى على وجه التحديد، لأنها تذكرنا بعظمة وجود الله عز وجل في التاريخ وفي وقتنا الحاضر، إضافة إلى الوصايا الثلاث التي تليها والتي تُذكرنا بالخليق وتُساعدنا كثيراً على الارتقاء بمشاعرنا إلى ما هو أسمى من الحسد والغيرة.

إننا موجودون في هذا الكون لأن الله عز وجل يريد لنا ذلك، كما أننا نمتلك في حياتنا ما يريدنا الله أن نمتلكه، فلماذا إذاً نشغل أنفسنا بما يمتلكه الآخرون؟ وإذا كانت أقصى آمالنا وطموحاتنا هي صورتنا في عيون الله عز وجل، فلماذا إذاً نطمح لامتلاك شيء معين فقط لأن شخصاً آخر يمتلكه؟ بالتالي فإن مشاعر الغيرة والحسد تتولد في صدورنا حينما نتوقف عن النظر لأنفسنا من خلال علاقتنا بالله عز وجل، ونبدأ بالنظر لأنفسنا من خلال علاقتنا بالبشر، عندها تشقُّ مشاعر الخصومة والشقاق والجشع والحسد طريقها نحو عقولنا، الأمر الذي سيقود بناهية المطاف إلى التعاسة والبؤس.

وحيث تكون سيارتك الجديدة سبباً لشعوري بالغيرة منك، فإنني سأقومُ بشراء سيارة جديدة أغلى ثمناً من تلك التي تمتلكها أنت بالرغم من عدم حاجتي إليها، وهذا ربما سيمنحي شعوراً بالسعادة والرضا عن نفسي لبضعة أيام حتى اكتشف بأنه يوجد جازٍ آخر من جيراني يمتلك سيارة أحدث وأغلى ثمناً من سيارتي، وستسير حياتي على هذا المنوال. وحينما أرضي مشاعر الغيرة والحسد الموجودة بداخلي، فإنني فعلياً أقوم بهذا الأمر على حساب استفزاز مشاعر الغيرة والحسد الموجودة بداخلي، عبر دوامة لا نهائية من الإنفاق الباهظ على أمور لا داعي لها في حياتي أو حياتك، بطريقة لا تختلف كثيراً عما يقوم به الأطفال، الأمر الذي تُعبر عنه المقولة المعروفة: "الفائز هو الذي يمتلك أكبر قدرٍ من الألعاب عند وفاته"، فالكلمة المحورية في هذه الفكرة هي كلمة "ألعاب"، ومن هذا المنطلق وضعت الألعاب في رياض الأطفال، بالتالي يجب ألا يكون لمثل هذه الأفكار مكانٌ في حياة البالغين العاقلين.

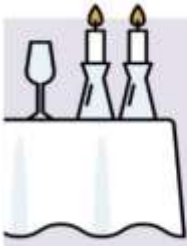
في المُقابل، فإن نقيض الغيرة والحسد هو الشعور بالشكر والعرفان والامتنان، وفي هذا السياق يقول الأديب شمعون بن زوما حين سئل "من يكون الغني؟"، فيجيب: "الغني هو من يفرح بما يملك". كما يوجد تقليدٌ يهودي رائع جداً يُمارس بشكل يومي، وهو في الحقيقة سلوكٌ من شأنه أن يُعبر حياة المرء من نحو الأفضل، يتمثل في أولى الكلمات التي ننطقها مباشرة بعد استيقاظنا من النوم، حيث نقول مخاطبين الله عز وجل: "موديه أني لفانيخا" (بمعنى أحمدك يا الله يا رب العرش العظيم).

إننا في الديانة اليهودية نشكّر قبل أن نُفكّر، كما أن الشعور بالعرفان والامتنان هو نهج بل وأسلوب حياة يهودي، وحتى لا ندع السعادة التي يشعر بها الآخرون تؤثر سلباً على سعادتنا فإننا نطلق من أعماقنا طاقةً إيجابية مهولة تخولنا بالشعور بالفرح بما نملك عوضاً عن الانشغال والتفكير بما يملكه الآخرون، بالتالي نكون نحن أنفسنا وعلى طبيعتنا عوضاً عن الانشغال بأن نكون ما لسنا عليه فعلاً.

1. من باب التأكيد، فقد وضح الحاخام موشيه بن ميمون بأن الوصية الأولى هي الإيمان بالله. في المقابل، وضح الحاخام موشيه بن نحمان بأن الـ"هلاخوت غدولوت" (الأحكام الكبرى) بحسب فهمه لها تُعارض رأي الحاخام موشيه بن ميمون، وبأن الآية التوراتية التي تقول: "أنا الله إلهك ومُخرجك من أرض مصر" هي ليست وصية بحد ذاتها، بل هي مُقدمة وفتحة للوصايا.

2. كانت هذه الفكرة ولا زالت جوهرية في الفكر اليهودي، وهي في قلب فكر حركة الخباد تبعاً للحاخام شنور زلمان صاحب المؤلف العظيم "تنبأ". والرأي نفسه يوضحه الحاخام ابن عزرا بالنسبة لهذه الآية، موضحاً بأننا نشعر بالغيرة والحسد ممن نشعر بأن بمقدورنا الوصول إلى ما وصلوه، ولا نحسد من نعلم في قرارة أنفسنا باننا لن نستطيع تحقيق ما حققوه.

3. René Girard ,*Violence and the Sacred* (Baltimore: John Hopkins University Press, 1979)
4. Schoeck's classic ,*Envy: a Theory of Social Behaviour* (New York: Harcourt, Brace & World, 1969). See also Joseph Epstein ,*Envy* (New York: New York Public Library, 2003).
5. Anthony Smith ,*Chosen Peoples* (Oxford: Oxford University Press, 2003)



حول مائدة يوم السبت المقدس: أسئلة للتأمل

- 1- من خلال تجربتك في الحياة، هل تعتقد أن الحسد والغيرة هي مشاعر طبيعية لدى الإنسان؟
- 2- هل يوجد جانب إيجابي لوجود مشاعر الحسد والغيرة في حياتنا؟
- 3- كيف يمكنك ان تجعل مشاعر الامتنان تمنع سيطرة الشعور بالحسد والغيرة على حياتك؟

• These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/yitro/to-thank-before-we-think/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

